

تاريخ فخر الدين الثاني

لكاتبه احمد الخالدي الصفدي

بقلم اسد رستم وفؤاد افرام البستاني

توترت مديرة المعارف العائمة والقنون الجميلة في الجمهورية اللبنانية
بنشر النصوص الاصلية لتاريخ لبنان في المصور الوسطى والتسأخرة . وقد
عهدت الى الاستاذين اسد رستم وفؤاد افرام البستاني في التنقيح عن هذه
النصوص ودرسها وضبطها ، ونشرها نشرًا علميًا يتضمن التعليل عليها
ووضع مقدماتها وقهارسها . لجنة الاستاذان في القيام بهذه المهمة ،
وأخرجها في السنة ١٩٣٤ ، سلسلة اولى من هذه المقشورات تضمنت في
ثلاثة مجلدات كبيرة ، تاريخ « لبنان في عهد الشهابيين » للامير حيدر
احمد الشهابي (١) . وما انهما ينجزان اليوم طبع تاريخ « لبنان في عهد
الامير نعر الدين الثاني » لكاتبه احمد الخالدي الصفدي ؛ وسيخرجانه
قريبًا ، عن المطبعة الكاثوليكية . وقد رأينا ان نتحف قرأتنا الكرام
بقسر من المقدمة التي وضعناها في تعريف المؤلف والمؤلف :

المؤلف

هو احمد بن محمد بن يوسف الخالدي الصفدي . وُلد بصفد ، ونشأ بها .
ثم ارتحل الى القاهرة ، وطلب العلم فيها . فدرس البخاري على محمد البهذي
المعيني ؛ وأخذ الفقه ، والحديث ، والتفسير ، والتاريخ ، عن خطيب الجامع
الازهر وقتند ، عبدا لله بن بها . الدين محمد بن جمال الدين عبدا لله بن نور الدين
الطنبغا التركي ، الشهير نسه بالعجمي الشنشوري القرضي . وأخذ ايضاً عن أحمد
ابن شعبان العمري ، وعلي بن حسن الشرنبلالي ، ومحمد بن محيي الدين
النحريري . ولما عاد الى فلسطين ، درس ، وأفتي ، وناب في القضاء ، وألف^(١)

(١) راجع المشرق ٣١ [١٩٣٣] ٢٨٢ ، ٢٦٦ ؛ ٣٣ [١٩٣٥] ٢١١

(٢) محمد المحيي : خلاصة الاثر في ايمان القرن المسادي عشر (طبع مصر) ١ : ٢٦٧-

ومن مؤلفاته شرحه المفصل على الكافية ، منه نسخة خطية في مكتبة برلين المرمية ، ومنها أيضاً تخييه للقصيدة الممزقة للبوصيري^(١) . ويذكر المحيي له كتاباً في العروض ، ورحلة الى الحج ، واخرى الى بيت المقدس .

وكان في اثناء ذلك انه تقرب الى الامير فخر الدين المعني الثاني فاجبه ، واعتمد عليه في بعض المهمات ، كما يظهر من سياق هذا التاريخ الذي نحن بصدده الآن . فعند القاضي الخالدي عندئذ الى تدوين المهم من هذه الاخبار التي شاهد بعضها ، واشترك في البعض الاخر منها . فنتج من عمله هذا مؤلف عظيم النائدة ، تناقلته ايدي النساخ اللبنانيين منذ ظهوره حتى الان . ولعل الامير فخر الدين نفسه هو الذي اشار على المؤلف بوضع هذا التاريخ . فقد ورد في المقدمة ما نصه : « هذا وقد اشار الي من اشارته غم ، ومخالفته غرم ، ان اسطر في هذه الاوراق ما وقع للامير فخر الدين بن معن ، في زمن توليته علينا . . . مع امراء ايالة الشام وحكامها من الشقاق والنفاق ؛ وابين ما تعاطاه من الحروب بياناً شافياً يشتمل على انواع القضايا والضروب ، بحسب ما اسنده الينا الرواة التتاة . »^(٢)

ومن الغريب ان لا يكون احد من مترجمي الخالدي قد ذكر هذا المؤلف في تعداد الكتب التي وضعها . ولعل السبب في ذلك يرجع الى الخالدي نفسه . فاما ان يكون قد توفي قبل اتمام مؤلفه هذا ؛ او ان يكون قد اخفى أمر هذا الكتاب ، لما أورده فيه من عبارات المدح والاحترام للامير الدرزي اللبناني فخر الدين المعني الذي اتهمه علماء ذلك العصر بالزندقة والخروج عن قواعد السنة^(٣) . وقد يكون المعني نفسه أهمل ذكر هذا المؤلف ضناً بكرامة

٢٦٨ . راجع ايضاً الشيخ حسن البوريني : كتاب تراجم الايمان من ابناء الزمان (خط) . وقابل بما ورد على هامش الصفحة ١١٦ من كتاب تاريخ الامير فخر الدين لبيسى اسكندر العلوف (جونية ، سنة ١٩٣٤) .

Die Handschriften - Verzeichnisse der Koeniglichen Bibliothek zu Berlin, (١)

Berlin, 1894, vol. VII, n°. 7833, VIII, n°. 6590

(٢) ص ٢ من من طبستانا .

(٣) المحيي : الكتاب المذكور ٣: ٢٦٦-٢٦٧ .

الحلادي ، ومحافظة على مكائته الدينية . ولا يخفى ما كانت عليه الناس ، في ذلك العصر ، من التعصب الطائفي ، وقصر النظر من هذا القبيل .

المؤلف

يتناول الحلادي في تاريخه هذا اخبار الامير فخر الدين المعني في لبنان و-اثر الاقطار الشامية ، ما بين سنة ١٠٢١ وسنة ١٠٣٤ هجرية (١٦١٢-١٦٢٤ م) فيصف الخلاف الذي نشب بين الامير المعني واحمد باشا الحافظ ، والحرب التي نتجت منه . ثم فرار الامير الى ايطاليا . ويشير ، في عرض الكلام ، الى مغامرات الامير علي ابن الامير فخر الدين في حوران وشرق الاردن . ثم يذكر فصل حافظ باشا عن ايالة الشام ، وتعيين چركس باشا ، صديق المعين ، بدلاً منه ، وكيف نتج من هذا التعيين رجوع الامير فخر الدين الى هذه البلاد سنة ١٦١٨ ، واستلامه ازمة الاحكام فيها . وبعد ان يصف انتصاراته على آل سيفا في جهات طرابلس ، وحملاته على آل حرفوش في البقاع وبعلبك ، يذكر مواقفه في فلسطين حتى يافا .

نسخ الكتاب

وقد وجدنا لهذا المؤلف خمس نسخ خطية . منها النسخة لك ملك الشيخ كسروان الخازن ، بحافظ طرابلس سابقاً . وهي تقع في ٣٥٢ صفحة ، بقطع ٢٠×١٣ سنتيمتراً . ورقها غبّادي صقيل من النوع الذي شاع استعماله في اواخر القرن الثامن عشر واولئل القرن التاسع عشر . وتمتاز عن اخواتها بتجانس اجزائها من حيث اللغة والاسلوب ، واختصاصها بالتاريخ المغربي .

والنسخة ك رقم ٤٢٧ من مجموعة المكتبة العمومية بمدينة مونيخ الالمانية^(١) . وهي تقع في ٣٤٥ صفحة من القطع المتوسط ٢١×١٦ سنتيمتراً . وقد جاء في آخرها انها بخط عبد اللطيف ابن الشيخ احمد الرشيدى « الصيدي بلداً ومولداً

(١) J. Auwer, Die arabischen Handschriften der k. Hof-und Staatsbibliothek in Muenchen, Muenchen, 1866, n°. 427

والرشيدي أصلاً . واكتننا ، بالرغم من هذا النص ، لا يمكننا ان نجزم بانها من خط السيد عبد اللطيف ، لاننا لم نجد من خطه حتى الآن ما يصح ان يكون أصلاً للمقابلة . وفي اوائلها عبارة بخط اسكندر اغا ابكار يوس هذا نصها : « خاصة الفقير اسكندر ابكار يوس »^(١) مما يدل على انها كانت تباع وتشرى في منتصف القرن الماضي^(٢) . ولها اقدم من ذلك . منها نسخة بالفوتوستات بدار الكتب المصرية ، ونسخة عن هذه بالفوتوستات ايضاً في مكتبة جامعة بيروت الاميركية .

ونسخة جامعة برنسن (Princeton University) في الولايات المتحدة باميركية . وهي رقم ٢١٩ من مجموعة روبرت غاريت (Robert Garret) . وقد ابتاعها جامعة برنسن ، من مكتبة المرحوم مراد بك البارودي ، الدكتور فيليب حتي . وهي تقع في ٢٨٢ صفحة بقطع متوسط ، اولها : « تاريخ الامير فخر الدين المعني تمدد الله بالرحمة » و آخرها : « تم الكتاب المبارك بفضل الله تعالى وتبارك بقلم العبد الفقير المقر بالذنب والتقدير فرئيس ابن بو نجم يوسف بن نصر من قرية دير القمر تابعة صيدا المحروسة » والنسخة هذه مخرومة ، متقطعة ، حاملة آثار الحرم .

وقد استنسخها لنفسه ، بواسطة خليل منصور غريب ، الاستاذ عيسى اسكندر معلوف ، فتم له ذلك في ١١ كانون الاول سنة ١٩١٢ . ثم قابها بنسخة غيرها وجدها بمكتبة المشايخ بني الجليل في بكفيا ، لبنان ، فاصلح خربها ، واكمل ناقصها ، في اواخر شهر ايار سنة ١٩٢٠ . ونسخة الاستاذ معلوف هذه قد اشترانا اليها بالحرفين ج ب . وهي رقم ٣٨٠٥٠ من مكتبة جامعة بيروت الاميركية ، تقع في ٢٤٨ صفحة بقطع ٢٢×١٧ ستيقراً . وقد علق

(١) ولا ترى مبرراً لتردد المشرق يوسف اور (Aumer) في قراءة هذا الاسم ، كما ورد تحت رقمي ٤٣٦ و ٤٣٧ من مجموعته المشار اليها آنفاً .

(٢) اطلب حياة اسكندر ابكار يوس في كتاب « تاريخ آداب اللغة العربية » لبرجي زيدان ، مصر ، ١٩٨٨ . راجع ايضاً « آداب اللغة العربية في القرن التاسع عشر » للاب ويس شيخو ، بيروت ، ١٩١٠ ، ٢ : ١١٥-١١٦ .

عليها الاستاذ المملوف بما يلي فنشره بحرفه وقامه ، اكثالا للوصف :

« نقلت من نسخة قديمة في ١١ كانون الاول سنة ١٩١٢ م وهذه النسخة وجدت في مكتبة مدينتنا مزملو مراد بك البارودي اللباني الصيدلي في بيروت ولقد قابلتها على نسخة اخرى مختصرة في مكتبة المشايخ بني الجليل في قبة بكفيا (المتن) واستنخت الناقص واصلحت الحرم بالاشارة اليه وذلك في مدينة زحلة (لبنان) في اواخر شهر ايار سنة ١٩٢٠ م والمصدقا اولاً وآتراً كته الفغير عيسى اسكندر المملوف

« يقول مقتني النسخة عيسى اسكندر المملوف في ترجمة الشيخ احمد المالدي الصغدي ما ملخصه من ترجمة مطولة عنده هو احمد بن محمد بن اسرة في صفة تنسب الى الامام خالد ابن الوليد والذي صرح به النسابة ان خالداً هذا لم يقب ولكن يظهر انهم من سلائل بني عمه لان كثيرين ينتسبون الى المالديين هؤلاء والله اعلم بصحة اناسم

« اتصل الشيخ احمد هذا بالامير المنى ودون حوادثه في هذا التاريخ ولقد توهم الشيخ بطوس الشدياق في كتابه (اخبار الاعيان في جبل لبنان) ان للسني تاريخين احدهما للخالدي والثاني للصغدي والصحيح ان الاسمين لمسى واحد اي ان احمد بن محمد هذا هو المالدي نسبة الى اسرته والصغدي الى موطنه فيما لقبان له متواليان وظن بعض المؤرخين ان للشيخ ابي نوفل المازن تاريخاً للسني ولم نجد لذلك اثراً عند اسرته المازنية ولا رواية من احدهم تثبت ذلك بل المرجح عندنا بعد البحث ان ابا نوفل ربما كان ناسخاً لهذا التاريخ او مقتنياً له وراضاً اسمه عليه والنسخة ليس فيها اسم المؤلف فقيل ذلك وعن روى هذا (ذي لاكروا) في كتابه ولهذا التاريخ نسخ متعددة منها ما هو مطول فيه وصف رحلته الى توسكانه وهذه النسخة احداها ومنها ما هي خالية من الرحلة مقتصرة على حوادث المنى في بلادنا فقط ومنها نسخ متعددة احداها عند الموازنة

« ومن مؤلفاته شرحه على الفية ابن مالك ورجلته الى القدس نظماً اما تاريخه للسني فلم يذكره مترجموه وقد ضنه حوادث المنى من سنة ١٠٢٠ هـ - سنة ١٠٣٣ ١٦١٢٨ م - ١٦٢٣ م وذلك قبل وفاته باثنتي عشرة سنة وهذه نسخة من مخزومة باخرها اصلحتها على قدر الطاقة بالمراصة والمراجعة وقد نشرت معظم هذا التاريخ في مجلتي (الانوار) في سنواتها الثلاث الترابية مع رسم الامير المنى الشهير مستنداً على مخطوطات كثيرة ورحلات اورويين وغيرهم . ووضعت تاريخاً مطولاً له بصور وحوادثي من مصادر مختلفة عربية وفرنسية وايطالية وانكليزية والمالية وروسية وتركية اخذت معظمها من هذا الكتاب اما شورونه في اوربة فنقلتها عنه بالحرف بلقتها العامية وللي اتمكن من نشره
« كتبها الفقير الى رحمة ربه عيسى اسكندر المملوف »

تقول : لقد احسن الاستاذ المملوف في تدوين الاختلافات بين النسختين البارودية والجيلية ، لاننا لم نعرف حتى الآن على اثر النسخة بني جميل . ولكننا ، مع الاعتراف بجهوده واتمابه في هذا المضمار ، لا يسعنا الا ان نقول بان النسخة

ج ب لا تزال مخرومة متقطعة ، وان بعض اصلاحات الاستاذ المملوك من هذا القبيل لم يقع في محله ، وسنشير الى هذا الخطأ في مكانه ، على هامش الكتاب .

ووجدنا ايضاً نسخة اخرى في مدينة طرابلس لدى الموزع جرجي افندي بني - استنسخها لنفسه عن نسخة للخوازنة . وبعد المقابلة بين هذه النسخة والنسخة ك ، وجدنا انها لا تختلف عنها بتاتاً . ولذا فاننا املنا الاشارة اليها في هامش الكتاب .

طريقنا في النشر

فيكون لدينا ، والحالة هذه ، نسخ متعددة عن اصل مفقود . فيجدر بنا اذاً ان نبيد بعضها ، ولا سيما ما يعتمد منها على سابق له . وعليه فاننا قد املنا نسخة جرجي افندي بني ، لانها تتفق كل الاتفاق مع النسخة ك التي هي اقدم منها . ولما كانت ك ، مع هذا الاتفاق التام ، موجودة لدى الخوازنة ، وكان جرجي افندي بني قد نسخ عن نسخة خازنية ، اصبح من المعتمل ان يكون قد نسخ عنها نفسها . وكذلك فانه بالامكان ان تمتد نسخة جامعة برنستون ، والنسخة ج ب ، نسخة واحدة ؛ لان الاستاذ المملوك يعترف بهذه الصلة ، ولان المقابلة بين النسختين تؤيدها . وقد آثرنا ان نشير في الهامش الى ج ب ، لا الى نسخة برنستون ، لان الاستاذ المملوك يحفظ لنا في نسخته بعض الاختلافات بينها وبين النسخة « الجليلية » ، وقد اشرنا الى هذه الفروقات في محلاتها .

وقد لاحظنا ايضاً علاقة ظاهرة بين النسختين م و ج ب ؛ وذلك بالاغلاط المشتركة بينهما . فقد ورد مثلاً في كل من هاتين النسختين ما نصه : « فلما عاد مصطفى كخدا واعلم الامير علي بالذي صار في بعلبك من الاتفاق وكتب الحجة واستدانته من ابن الحرفوش المشرة الاف غرش وارسلها لابن الحرفوش واستكثر خيره . »^١ وهو كلام مشوه بدليل النقص في معناه . ولا

ينبغي المعنى الا بالاتكال على ك فتحاً عندئذ : « فلما عاد مصطفي كتحدا واعلم الامير علي بالذي صار في بطنك من الاتفاق وكتب الحجة واستدانته من ان الحرفوش الشرة الاف غرش ودفنه اياها لارباب الديون في الحال جهز الامير علي الشرة الاف غرش وازسلها لابن الحرفوش وتشكر منه . وفي الصفحة ٨٣ من الكتاب مثال آخر يؤيد هذه الصلة بين النسختين . فقد ورد في كل منها ان الوزير « خليل باشا عين جملة بكلمبركية وسناجق ومهم بشرون الف عسكري سود خيل وتوجهوا الى اخذ المكب من المذكورين تصور باله ان لا بد ان يجي الى كبهم » . وفي هذا القول تقص ظاهر . وصحيحه ، كما ورد في ك : « وتوجهوا الى اخذ المكب من المذكورين فلما علم الشاه عباس ان جماعة الوزير مروا على التركان والاكراد المذكورين تصور في باله انه لا بد ان يجي الى كبهم » الخ . هذا وقد اشرنا الى جميع الاغلاط المشتركة بين هاتين النسختين في عملاتها ، وهي تربو على الستين . ولا يخفى ان التناخ لا يجمعون على غلطة ما الا ويكون احدهم قد اخذ عن صاحبه ، كما انه ليس من المحتمل ان يتفقوا منفردين بعضهم عن بعض الا على الصحة^(١) . فاما ان تكون نسخة برستن منقولة عن ك ، او ان تكون م ونسخة برستن منقولتين عن اصل واحد مقعود .

فليس لدينا اذا ، بعد هذه القربة وهذا البذ ، الا نسختان رئيسيتان هما ك و م فيتوجب علينا ان نقابلها الواحدة بالاخري وننتقي منها ما نراه اقرب لمر المؤلف ، وللقه ، وامياله ، فنثبت نصه في المتن ونرجي للهامش نص النسخة الاخرى ، وهكذا فعلنا .

وقد عثرنا في متن م و م و ج ب على اخبار مفصلة للرحلة التي قام بها الامير فخر الدين الى ايطالية . وزي انها ليست للخالدي . ولعلها دُست عليه . وذلك لان لغتها ، من حيث القواعد الاساسية والاسلوب ، لا تتفق مع لغة المتن الذي وضعه الخالدي . فيينا نرى هذا العالم الازهري يقول « حمدا لمن جعل نظام

(١) راجع اسد رستم : الاصول الرية لتاريخ سوربة في عهد محمد علي باشا ١ : ٥٠-٦٠

العالم فضلاً منه صلة الى تصحيح معاش ابن آدم ، ، نقرأ في اخبار هذه الرحلة :
 « ايش معك من اين جاي ايش هذه المسلمين الى الدار التي
 برات المدينة » وكذلك فان تواريخ هذه الرحلة مسيحية ، وتواريخ الكتاب
 هجرية . زد على هذا ان النسخة لك لا تحتوي الا على اخبار وجيزة لهذه الرحلة
 تنفق وتنسق مع سائر الكتاب .

وقد لاحظنا ايضاً ان هناك زيادة في اكثر من موضع لم يتجاوز الكلام
 فيها الطرفين او الثلاثة ، فاكتفينا بالاشارة اليها في محلها . ولعل مدخل هذه
 الاخبار هنا وهناك هو احد الحوازنة الذين عرف عنهم شي ؛ من الاهتمام بتاريخ
 الامير فخرالدين ، حتى روى الرحالة الفرنسي دي لاروك^(١) ان ابا نوفل الخازن ألف
 في تاريخ الامير فخر الدين . اضم الى ذلك ان اكثر هذه التنف المنسوسة تتعلق
 بالحوادث التي اشترك فيها الحوازنة .

اما خطتنا في النشر ، من حيث ضبط المتن وتعليقات الموامش وغير ذلك ،
 فهي الخططة نفسها التي اتبعناها في نشرنا للمجلدات الثلاثة الاولى من منشورات
 مديرية المعارف العامة والفنون الجميلة ؛ فلترجع في محلها^(٢) .

(١) De la Roque, *Voyage en Syrie*, Paris, 1722 ; II, 132, 133 .

(٢) لبنان في عهد الامراء الشهابيين ١ : ص ١١٠ - بط .

